المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٣/٧/٤

وداع بالكولونيا

د. محمد إسماعيل على يكتب :

ذكريات واطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. وعنه

قال لى الرئيس السادات قبل ٢٤ يوما من حادث المنصة :

« يمكن ثورة بجابين يطلعوا علىّ بالرشاشات !! »

موسى صبرى نصحنى بارتداء بدلة ضد الرصاص قبل سفرى إلى المنصورة

اتخذت قرار العرب أثناء تشييع جنازة عبد الناصر

لم يعجب أحمد بهاء الدين قولى أن ٩٩٪ من أوراق الحل فى يد أمريكا

وتوقف السادات برهة عند هذه الجملة . التى كان يقرأ بها ماسيحدث له بعد ٢٤ يوما .

يمكن شوية مجانين يطلعوا على بالرشاشات "..

وسرح ببصره بعيدا ، ثم قال :

حتى موسى [يقصد موسى صبرى] قالى قبل رحلة المنصورة . انى البس بدلة ضد الرصاص ، قلت طب ويافالح لو الرصاص كان على راسى ...حاتعمل ايه البدلة ؟!

خليها على الله .. واينما تكونوا ، يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ...

□ وكان لى رغبة فى تجاهل هذه الكلمات الموحشة . التى كان يتبعها دائما بضحكة عالية تنم عن انه لم يكن يخشى الموت ، رغم انه يتوقعه بين لحظة واخرى .. وقال هو .

[أصل يظهر عمرى طويل .. ماهو عمر الشقى بقى ..]

نعرف ياسماعيل انه كان تصورنا انا وجمال انى انا حاموت الاول علشان انا اتعرضت لكذا (اتاك) فى القلب .. لكن جمال كانت صحته زى الحديد .. لكن ٥ يونيو قتلته خالص .

فقلت له ضاحكا : [و ٦ اكتوبر احيت حضرتك] !!

ولم اكن ادرى ولاهو كان يدرى ان ٦ اكتوبر هذه ، سوف تكون مصرعه ونهايته .

ومازال يفرغ اكواب الشاى الصغيرة ويشعل « البايب » باعواد الكبريت .. وينظر الى الافق من بعيد ، وقد بدأ عليه انه فى حالة استرخاء تام ، وان جلستنا معا ، ليست لها نهاية محددة .. ثم قام بطلب براد شاى آخر واستأنف حديثه قائلا :

● حرب اكتوبر دى تعبتنى قوى .. وانا كنت بافكر فيها واحنا فى جنازة عبد الناصر .. مش يعنى لازم تكون فى اكتوبر ... لا .. انا كنت بقول لو حسب الدستور .. انت توليت ، يبقى لازم تحرر الارض بطريقة ثانية خالص .

وانت عارف ايه اللى حصل بعد كده الروس تعبونى .. والطلبة تعبونى .. معظمهم ماركسيين .. والامريكان والاسرائيليين والعرب .. اما الذى ضايقنى بالفعل ، فهو غضب القذافى لانى لم اقل له عن موعد بدء الحرب .. ساعة الصفر يعنى .

ياخبر اسود !! اقوللە ساعة الصفر ايه !؟ .. دا كان يقف فى الاذاعة والتليفزيون ، ويقول لقد حددنا ساعة الصفر لتحطيم اسرائيل ..

وضحك السادات ، وهو يذكرنى بنكتة محطة المطار السرى ، وقال :

ـ اهو القذافى كان حيقول ان يوم ٦ اكتوبر سيبقى سرا .

وضحك مرة اخرى وقال .

ـ كنا حانروح فى داهية لو قلت انا وحافظ للقذافى على ساعة الصفر .. وبعدين .. انا وحافظ متحالفين ندخل الحرب سوا .. يعنى مش ممكن اقول للقذافى .. واهو من ساعتها وهو عاملها حكاية ..

ولما سألته عن بعض تصريحات ادلى بها ، واثارت الراى العام ايامها ، مثل التصريح الذى قال فيه انه سيوصل مياه النيل الى اسرائيل ، واطلاق لفظ « صديقى » على بيجين .. قال وقد قطب جبينه وبدت عليه الجدية :

ـ شوف يا اسماعيل .. انا كان ممكن اكون الزعيم العربى اللى تهتف الجماهير بإسمه فى كل بلد عربى .. كفاية على ثلاث اربع خطب نارية ، اهدد فيها بتدمير اسرائيل ، وضرب امريكا وتوحيد العالم العربى ضد الاستعمار .. وشوية اناشيد حماسيه كل يوم ..

لكن انا مش عاوز اكرر الغلط .. انا استغنيت عن هتاف الجماهير العربية لهذا الكلام الفارغ .. وبصيت للماضى وللمستقبل .. قلت خليهم يشتمونى .. البلد اهم .. البلد مش مستحملة هزيمة تانية .. قلت ايه .. امريكا عندها ٩٩ ٪ من اوراق الحل .. والكلام ده مش عاجب بهاء .. لكن بكرة نعرف ..

يبقى لازم مش اخاطب الشعب العربى بكلام حماسى لا حيودى و لاحيجيب .. ولكن اخاطب الراى العام العالمى .. الراى العام الامريكى .. تعرف ادايه بتكبر فى عينهم مصر لما اتكلم عن السلام !! هيه دى الفايدة انا باهبط عداوتهم لينا .. باقدم السبت علشان الاقى الحد .. باعمل زى اسرائيل بالضبط .. دايما تتكلم عن السلام وهى بتستعد للحرب ..

وبعدين فيه النيل ، هوا مين اللى حيوديه اسرائيل !؟ دا تصريح سياسى .. زى تصريحاتهم .. وصديقى .. ايه يعنى .. طب لو قلت عدوى بيجين .. حانرمى اسرائيل فى البحر !؟

واسترسل السادات فى شرح وجهة نظره فى معالجة الاحتلال الاسرائيلى ، واكد انه يعى تماما ان تصرفاته سوف تجلب عليه المتاعب مع العرب .. لكنها لمستقبل البلد ..

كانت رؤيته بعيدة المدى .. لا تتوقف عند استجلاب حب الجماهير بعبارات طنانة ، ولا عند استقطاب العرب بخطب نارية ليس لها اى مردود فعلى .. ترك كل هذا ، ووضع عينيه على مستقبل مصر .. وقال منفعلا كأنه يخطب فى الجماهير :

ـ الله .. الله .. اضيع مصر لحد ما العرب تتفق على حل شامل !! عمرهم ما حيتفقوا .. عمرهم .. إنت ما تعرفش افعالهم الحقيقية ايه .. رغم

انك عارف تصريحاتهم .. لا .. مصر لازم تتحرر وباسرع ما يمكن .. انا مارهنش مصير بلادى لمزاج فلان ولا علان ..

■ ■ ■

قلت له ، وانا انصت اليه بذهول :

ـ انك تذكرنى بـ (تيودور هيرتزل) يا سيادة الرئيس !! لقد كان هو ابو الحركة الصهيونية .. ولم تنطق بكلمة واحدة عن الحرب بل بالعكس خطط بهدوء منذ عام ١٨٩٧ لإنشاء الدولة اليهوديه بعد خمسين سنة ، وفعلا حصلت عام ١٩٤٧ .

ـ برافو عليك .. هل فيه حد وصفة بالخيانة .. لا .. كل واحد كان بيشتغل فى حاجة .. ناس تتكلم فى السياسة .. ناس تهاجر لفلسطين .. ناس تقوم بعمليات نظام .. وترتيب ومخ احنا ما اتفقناش ابدا .. ومش حانتفق ..

وحينما فرغ الرئيس من التعقيب على ملاحظتى بتشبيهه بتيودور هيرتزل ، سألنى عما اذا كنت قد درست تاريخ الصهيونية فقلت له :

ـ ياريس انا ارسلت لحضرتك رسالة الدكتوراه بتاعتى وعندى جواب من حضرتك .. وهيه موضوعها « مدى مشروعية اسانيد السيادة الاسرائيلية فى فلسطين » وانا قرات ٦١٢ مرجعا عن الصهيونية بالعربى والانجليزى والفرنساوى ..

ـ كويس .. كويس يا اسماعيل ..

فقلت له : إننى مدين للأستاذ حاتم صادق زوج السيدة هدى عبد الناصر .. لأنه يسر لى فرصة الحصول على مراجع كثيرة ممنوع تداولها .. وذلك بفضل رئاسته لمركز الدارسات الصهيونية والفلسطينية فى مؤسسة الاهرام ..

ولم يعقب السادات بكلمة ..

ولكنه ادار الحديث الى اتجاه اخر تماما ، حيث قال ان عيب جمال .. وسكت قائلا :

ـ على فكرة كنا نسميه (جيمى) وعبد الحكيم كنا نقول له « حكيم »

المهم .. عيب جمال ، إنه عصبى وشكاك .. وأنا بطبعى الريفى هادى ولا احب المشاحنات ولا العصبية .. ولذلك كنت اول ما اشعر ان مجلس الثورة فيه زوابع .. اروح ميت ابو الكوم وافضل قاعد مريح دماغى .. لحد ما جمال يفتكرنى ويسال عنى ..

لكن جمال كان ضعيف .. ضعيف جدا .. بس زى ما بقولك ، حكاية العصبية والشك دى كانت عيبه الكبير .. بس هو كان ضعيف اوى وهادى جدا قدام حكيم ..

فقلت له :

ـ ليه يا ريس ..

ـ علشان حكيم ماسك الجيش .. ماسك القوة العسكرية ..

وبدأ السادات يحكى ما كان يحدث بين جمال وعبد الحكيم ، من ضرب خفى

تحت الحزام ، وخصوصا منذ عودة عبد الحكيم من سوريا عقب الانفصال الذى قام به موفق عصاصة وعبد الكريم النحلاوى ومأمون الكزبرى ..

واستعرض السادات علاقته بكمال الدين حسين ، وحسن ابراهيم والبغدادى وجمال وصلاح سالم .. والشيء اللافت للنظر ، ان السادات اصر على انه هو الذى انشأ تنظيم الضباط الاحرار

فجأة .. قطع السادات كلامه عن زملائه من ضباط مجلس الثورة وقال منفعلا :

ـ انا مش عارف ايه اللى جراله ..

وقلت بلهفة :

ـ مين يا سيادة الريس ؟

قال بانفعال : **[اللى اسمه فتحى رضوان ده .. كان وطنى وكويس .. الايام دى زى ما يكون حصل له حاجة هو وحلمى مراد ..**

● كان واضحا ان الزعيمين المعارضين يحظيان بنصيب كبير من غضب السادات !! والواقع ان (التغاضب) كان متبادلا .. فقد كان المرحوم فتحى رضوان والدكتور حلمى مراد اطال الله فى عمره ، يشنان حملة شعواء على السادات ، مما افقد السادات كثيرا من هدوئه وصبره وحنكته ..

واذكر ـ بهذه المناسبة ـ أن صحفيا مرموقا ، اتصل بالرئيس امامى وقال له هل قرات باريس جريدة « الشعب » !!

فنفى الرئيس .. واذا بالصحفى الكبير ، يقول انهم كتبوا مقالا ضد (فلان) ولكنهم يقصدونك أنت ..

فانفعل الرئيس جدا .. وايقنت ، الى اى مدى يمكن ان يورط المستشارون ، رئيس الدولة فى اثارته بأكاذيب او مجرد تخمينات .. والحقيقة ان هذا الحادث ، لا يزال ماثلا فى ذهنى ، يؤكد لى ، أن أغلب أخطاء السادات ، وعبد الناصر .. هى اخطاء الحاشية والبطانة والمستشارين ، لأنهم ينقلون للرئيس ما يرون انه يرضيه ، وليس الحقيقة أيا كانت !!

كان من الممكن مثلا .. التخفيف من حدة التوتر بين السادات ورموز المعارضة .. فالسادات وطنى بلا شك .. وفتحى رضوان وحلمى مراد لا شك فى وطنيتهما .. ولكن الامر لا يحتاج الا لإنسان تجرد من الهوى الشخصى ورعى الله واتقاه .. وقام بدور حمامة السلام .. لكن ما رأيته ، كان سكبا للزيت على النار ..

ولم ادر ان ساعات ثلاثة قد مرت . فنحن الآن فى الثانية .. والموعد بدأ فى الحادية عشرة .. وعلمت ان جدول المواعيد كان يحدد لى عشر دقائق .. وكان بعدى فى الزيارة الشاعر احمد عبد المعطى حجازى .. ثم علمت ان اهمية الزائر للرئيس ترتبط بطول وقت الزيارة

ونهض السادات وسار بى نحو باب الاستراحة .. وفجأة توقف قائلا وأنا مذهول :

ـ مش عاوز تدخل دورة المية ؟

دخلت .. وكان ـ وحده ـ واقفا على الباب فى الصالة .. وخرجت مرتبكا .. لكنه فاجأنى مرة اخرى بقوله :

ـ انت استعملت الكولونيا واللا لا : ؟

ـ لا يا افندم ..

فإذا بالرئيس يدخل لياخذ زجاجة « كولونيا » موضوعة على حوض الغسيل ، ثم يفتحها ويصب على يدى !!

كنت فى غاية الذهول ، وانا اواجه تصرف رئيس الجمهورية معى .. فمن غير المعقول ، ان يكون هذا الإنسان الطيب الوديع المتواضع .. هو نفسه ذلك الغول الذى يصوره خصومه !!

منتهى التواضع ، وهو يودعنى على باب الاستراحة ، ثم يستدرك قائلا :

ـ الله .. انتى خدت نمر التليفونات يا اسماعيل ؟

تليفونات ايه يا افندم

ـ تليفوناتى يا اخى .. احنا حايكون بينا شغل كثير فى السياسة .. واملانى ارقاما خاصة للاتصال المباشر به سواء فى القاهرة أو المعمورة ، أو الاسماعيلية أو اسوان ..

خرجت بالذهول كله .. والاحساس الشديد ، بأننى مقبل على مسئوليات خطيرة سوف يكلفنى بها السادات .

■ ■ ■

فى المساء كان هناك تليفون من الاستاذ عبد الله عبد البارى .. رئيس مجلس ادارة الاهرام ، يدعونى لمقابلته .. ويقول لى :

- إنت يا دكتور دخلت (مخاشيش) الراجل .. !!